العزلة

للشاعر العاطفي لامرتين

ما اكثر جلوسي على الجبل ، تحت ظلِّ شجرة البلوط العتيقة ، أُشَيِّع الشمس في مغيبها ، حزين القلب ، مكلوم الفؤاد ، اسَرِّح نظري عَرَضاً في السهول المنبسطة أمامي ، غير عابئٍ بالمناظر الخَلاَّبة ، التي لا تفتأ تتغير تحت قدمي .

* * *

فهنا يَهْدُر النهر ذو اللجج الصَخَّابة المزبدة ، مُتَلَوِّياً منساباً حتى يتلاشي في دياجير البُعْد ، وهناك البحيرة الساجيَة تبسط مياهها الراكدة الساكنة ، وهنالك نجم المساء يطلع في الافق ، مشرقاً في السماء الصافية .

* * *

وعلى قُلَلِ الجبال المتوَّجَة بالاحراش القاتمة ، يُلقي الغروب آخر شعاع من ضيائه ، وعربة ملِك الظلام المحاطة بالأبخرة الاثيرية ، تصعد بجلال وبهاء ، مُبَيِّضَة حوافي الافق .

* * *

وعلى حين فَجْأَةٍ ، ترتفع من القُبَّة الغوطية(١) ، نَغْمَةٌ دينية تفشو في ارجاء الفضاء ، فيكف المسافر عن السير مُصغياً خاشعاً . وقد مزج الناقوس الحَلَوِي ألحانه المقدسة ، بصَخَب النهار المكتهل وضوضائه .

* * *

ولكن نفسي القَلِقَة المضطربة ، الهازئة بهذه الرُؤى الفَتَّانة ، لم تكن تشعر بارتياح ولا ببهجة ، فكنتُ اتأمل الطبيعة دون أن يَنْفُذ فيَّ سحرها ، كأني ظِلٌ

---

(١) نسبة الى الغوط - Gothic - وكان لهم هندسة بناء خاصة اصبحت على الارجح رمزاً لبناء الكنائس والاديرة في القرون الوسطى .

تائه ، لا يعنى مايرى ، ولا يحفل بما يحف به ، لأن شمس الاحياء لا تدفىء الاموات .

وعبثاً كنت انقل طرفي من رَبْوَة الى اخرى ، وأسرح بصرى من الشمال الى الجنوب ، ومن بهاء الشروق الى روعة الغروب ، متطلعاً الى كل نقطة فى الفضاء الواسع ؛ ولسان حالى يقول : ليس لك في كل هذا من سعادة .

* * *

ماذا عسى أن تؤثر فىَّ هذه الاوديه والقصور والاكواخ؟ لقد تفهت فى نظرى ، ولم يعد تصيبنى منها فتنة ، ولا يخامرنى سحر ، فالانهار ، والصخور ، والغابات ، والخلوات العزيزة علىَّ ، اصبحت موحشة ، اذ ينقصها شخص ، كان يملأ وهـا حياة ، ويهبها رواء .

* * *

سواء لدىَّ أزر نسيم السحر ، أم هبت نسمات الاصيل ، أشرقت الشمس أم تولاها الأفول ، أتلفع الشفق بغمام رقيق ، أم اتشح الغسق بالسحب الداكنة ، فقد صرفت عينى عن هذا كله ، متنكباً الطبيعة ونظامها ؛ اذ لم يبق فى نفسى شىء من الأيام .

* * *

متى يتهيأ لى أن اتبع الشمس فى محيطها الفسيح ؟ فهنا لا ترى عيناى غير فضاء وفلاة ، فلا تصبو نفسى الى شىء مما تنيره ، ولا ابتغى من الدنيا حلية أو متاعا .

* * *

ولكن قد يوجد وراء حدود دائرتها ، امكنة تنير فيها الشمس الحقيقية سماوات اخرى ، فياحبذا لو تسنى لى ترك غلافى المادى فى هذه الارض ، والصعود بجوهرى فى الاثير السماوى . بعدا لناظرى ما طالما تمنيته وشغفت به .

* * *

فهنالك أرتوى من الينبوع الذى تتوق نفسى اليه ، هنالك اجد الامل والحب ،

هنالك احصل على النعيم الذهنى الذى تتمناه كل رُوح ، ذلك النعيم الذى ليس له اسم فى مَثوانا الارضى .

* * *

لَعَمْرى لو أُتِيحَ لى أن أصل اليكِ ، ايتها البُغْية المُبْهَمة ، محمولا على غارب الفجر . . اذ ما شأنى فى ارض منفاى ؟ ولأى سبب طال فيها مُكْثى واغترابى ؟ وأنا لا اتوسل بزلفى ، ولا أَمُتُّ اليها بصلة .

* * *

اذا ما سَقَطَت أوراق الاشجار فى المرُوج ، تلقَّفَتْها ريح المساء ، منتزعة اياها من الوديان ، . وما اشبهنى بهذه الاوراق الذاوية . . فاحملينى ايتها العواصف الهوجاء ، وذَرِّينى ايتها النكباء ، عَلى احظى بِمُنَاى ، وافوز بِمُشتهاى .

مصر

جورجى نيقولاوس

صينيون يقرؤون أخباراً مزعجة